المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أصول هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالى
(سورة الفرقان نموذجاً)

اسم الباحث

د / إدريس علي الطيب علي

د. إدريس علي الطيب علي

أصول هدايات القرآن الكريم

في تعظيم الله تعالى

(سورة الفرقان نموذجًا)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين،،

أما بعد؛ فإن تعظيم الله تعالىٰ ومحبته سبحانه وتعالىٰ هما أساس الإيمان، ومن أخص أعمال القلوب التي لها الأثر الفاعل في توجيه الأعمال والسلوك، وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الموضوع في جميع أجزائه وسوره وآياته بصورة ظاهرة، والتالي للقرآن الكريم يجد في سوره وآياته أصولًا بينة، وأسسًا واضحة، وقواعدَ ظاهرة، صيغت بأساليب متنوعة تهدي إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ، ومن خلال تلاوة سورة الفرقان وتدبر آياتها يجد القارئ مجموعة من الأصول والأسس التي قامت عليها هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ، منها: وصف الله تعالىٰ بأوصاف الكمال ونعوت الجلال، ونسبة المُلْك الحق لله تعالىٰ وحده، ونفي الولد والشريك مع الله تعالىٰ، والتذكير بأن الله تعالىٰ مختص بعلم دقائق الأمور، والتركيز علىٰ وصف خلق الله تعالىٰ بما يدل علىٰ عظمته سبحانه.

هذه الأمور الخمس التي ورد ذكرها في سورة الفرقان بأساليب بيانية بديعة تعد بمثابة الأصول والأسس للهدايات القرآنية التي تقود إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ.

وسوف يتناول الباحث كل أصل من هذه الأصول الخمس في مبحث خاص به يقتصر فيه علىٰ ذكر الآيات القرآنية الدالة عليه من سورة الفرقان، وبيان الأساليب البديعة التي صيغت بها، وذكر أقوال علماء التفسير التي تدل علىٰ بيان هداية القرآن في تعظيم الله تعالىٰ، مع الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية من السور الأخرىٰ بما يعمق الدراسة ويظهر النماذج التطبيقية لهذه الأصول. وجعلته تحت عنوان:

أصول هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ (سورة الفرقان نموذجًا)

والمقصود بالأصول في هذا البحث الأسس الثابتة التي تنبني عليها فروع الأحكام وتكون قاعدة مستمرة في استنباطها. والمقصود بهدايات القرآن الكريم: «الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر»[1]. والمقصود بتعظيم الله تعالىٰ وصفه بكل صفات الكمال التي تليق بعظمته، وتنزيهه عن كل صفات النقص التي لا تليق بجلاله سبحانه.

---

(١) الهدايات القرآنية ١/ ٤٤.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية هذا الموضوع في جملة أمور، منها:

١- أن قضية تعظيم الله تعالىٰ تمثل جانبًا محوريًا في العقيدة الصحيحة، وهي من أشرف أعمال القلوب.

٢- اهتمام القرآن الكريم بهذا الموضوع اهتماما واضحا في سائر أجزائه وسوره وآياته.

٣- عدم وجود دراسات علمية كافية حول الموضوع، خاصة فيما يتعلق بجانب التأصيل والتطبيق.

أهداف البحث: تأتي أهداف هذا البحث ضمن أهداف مؤتمر التعظيم، والتي منها:

١- بيان بعض الأصول والأسس والقواعد التي قامت عليها هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ.

٢- إبراز نماذج تطبيقية لتعظيم الله تعالىٰ في سورة الفرقان.

٣- إحياء الروح الإيمانية للأمة من خلال العناية بأعمال القلوب التي علىٰ رأسها تعظيم الله تعالىٰ.

حدود البحث:

حدود هذا البحث موضوعية تتمثل في استخراج الأمور التي تعد أصولا وقواعد في تعظيم الله تعالىٰ من سورة الفرقان.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي في هذا الموضوع، وهو المنهج المناسب لهذه الدراسة بحيث تم استقراء آيات سورة الفرقان واستنباط أصول هدايات القرآن في تعظيم الله تعالىٰ منها.

الدراسات السابقة:

يعد موضوع الهدايات القرآنية بصورة عامة من الموضوعات البكر التي لم يكتب فيها إلا نادرا في هذا العصر ولذلك جاءت فكرة هذا المؤتمر المبارك الذي من أهم أهدافه التأصيل لموضوع الهدايات القرآنية في تعظيم الله تعالىٰ وتحفيز الباحثين للاهتمام بالكتابة فيه.

ومن أهم الدراسات التي وقف عليها الباحث المشروع البحثي الذي بعنوان: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، لعدد من الباحثين تحت رعاية كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم الذي يعد من المؤسسات العلمية الرائدة في العناية بهذا الموضوع، ويعد هذا المشروع لبنة علمية رصينة في التأصيل لموضوع الهدايات القرآنية حيث اشتمل علىٰ مباحث قيمة جدا في: مفهوم الهدايات القرآنية وخصائصها، وأنواعاها ومجالاتها، وأساليب القرآن الكريم في عرضها، واشتمل علىٰ نماذج تطبيقية لكيفية استنباط الهدايات، وهي دراسة مفيدة جدا للباحثين في موضوع مؤتمر تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم، وقد استفدت من هذا المشروع في إنجاز هذا البحث.

فيما عدا ذلك لم يقف الباحث في حدود علمه واطلاعه علىٰ دراسة بهذا التحديد الذي يقدمه للمشاركة في هذا المؤتمر المهم جدا.

خطة البحث:

يحتوي البحث إجمالا علىٰ مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة موضحة علىٰ النحو الآتي:

المقدمة: في بيان أهمية الموضوع وأهدافه وحدوده وبيان منهجه والدراسات السابقة فيه وخطته.

المبحث الأول: الأصل الأول: وصف الله تعالىٰ بأوصاف الكمال ونعوت الجلال.

المبحث الثاني: الأصل الثاني: نسبة المُلْك الحق لله تعالىٰ وحده.

المبحث الثالث: الأصل الثالث: نفي الولد والشريك مع الله تعالىٰ.

المبحث الرابع: الأصل الرابع: التذكير بأن الله تعالىٰ مختص بعلم دقائق الأمور.

المبحث الخامس: الأصل الخامس: التركيز علىٰ وصف خلق الله تعالىٰ بما يدل علىٰ عظمته سبحانه.

الخاتمة: فيها نتائج الدراسة والتوصيات

الفهارس اللازمة.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا،،

المبحث الأول: الأصل الأوّل

وصف الله تعالى بأوصاف الكمال ونعوت الجلال

من أصول الهدايات القرآنية التي نص الله تعالىٰ عليها في كتابه مما له تعلق بتعظيم الله تعالىٰ أنه سبحانه وتعالىٰ وصف نفسه بأعلىٰ أوصاف الكمال، ونعتها بأعظم نعوت الجلال، وهذا أمر موجود في سور القرآن الكريم وآياته علىٰ نطاق واسع جدًا، كما أن استخراج هذه الهدايات والنص عليها في كتب التفسير كثير في كلام المفسرين رحمهم الله تعالىٰ، بحيث يجد القارئ في تفاسيرهم التصريح بما يدل علىٰ تعظيم الله تعالىٰ بأقوىٰ أنواع التعبير وأجود أساليب التمجيد للباري عزَّ وجلَّ.

وفي (سورة الفرقان) التي هي محلّ الدِّراسة في هذا البحث يجد التالي لها أنها افتتحت بهذا الأصل العظيم في تعبير قرآني بديع وفريد، قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور في وصف هذا الافتتاح البديع: «افْتِتَاحٌ بَدِيعٌ لِنُدْرَةِ أَمْثَالِهِ فِي كَلَامِ بُلَغَاءِ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ فَوَاتِحِهِمْ أَنْ تَكُونَ بِالْأَسْمَاءِ مُجَرَّدَةً أَوْ مُقْتَرِنَةً بِحَرْفٍ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ، وَبِهَذِهِ النُّدْرَةِ يَكُونُ فِي طَالِعِ هَذِهِ السُّورَةِ بَرَاعَةُ الْمَطْلَعِ؛ لِأَنَّ النُّدْرَةَ مِنَ الْعِزَّةِ، وَالْعِزَّةُ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَلْفَاظِ وَضِدُّهَا الِابْتِذَالُ»[1].

قال البقاعيُّ في بيان معنىٰ هذه الصفة التي وصف الله تعالىٰ بها نفسه تعظيما وتمجيدا في مطلع هذه السورة، مع الإشارة إلىٰ هداية القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ: «﴿تَبَارَكَ﴾، أي ثبت ثبوتًا مع اليُمْن والخير الذي به سبقت الرحمة الغضب، والتعالي في الصفات والأفعال، فلا ثبوت يدانيه، ولا يكون ذلك كذلك إلا بتمام قدرته، ولا تتم قدرته إلا بشمول علمه، وهذا الفعل مطاوع (بارك)، وهو مختص بالله تعالىٰ لم يستعمل لغيره، ولذلك لم ينصرف لمستقبل ولا اسم فاعل؛ ثم وصف نفسه الشّريفة بما يدلّ علىٰ ذلك، فقال: ﴿ٱلَّذِى﴾»[2].

وقال الشَّيخ الشَّنقيطي بعد ذكر أقوال العلماء في معنىٰ ﴿تَبَارَكَ﴾، مع التنبيه علىٰ هذه الهداية القرآنية، والنَّصُّ علىٰ أنّها مستلزمة عظمة الله تعالىٰ وتقديسه: «الْأَظْهَرُ فِي مَعْنَىٰ

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٣١٥، ٣١٦).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٣٠).

﴿تَبَارَكَ﴾ بِحَسَبِ اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ أَنَّهُ تَفَاعَلَ مِنَ الْبَرَكَةِ، كَمَا جَزَمَ بِهِ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، وَعَلَيْهِ فَمَعْنَىٰ ﴿تَبَارَكَ﴾: تَكَاثَرَتِ الْبَرَكَاتُ وَالْخَيْرَاتُ مِنْ قِبَلِهِ». قال: «وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ عَظَمَتَهُ وَتَقَدُّسَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَأْتِي مِنْ قِبَلِهِ الْبَرَكَاتُ وَالْخَيْرَاتُ وَيَدِرُّ الْأَرْزَاقَ عَلَىٰ النَّاسِ هُوَ وَحْدَهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْعَظَمَةِ، وَاسْتِحْقَاقِ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ»[(١)].

وممن نص علىٰ هذه الهداية من العلماء أيضا أبو السعود حيث قال: «البركةُ النَّماءُ والزِّيادةُ حسيَّةً كانتْ أو معنويَّةً وكثرةُ الخير ودوامه أيضًا، ونسبتُها إلىٰ الله عزَّ وجلَّ علىٰ المَعْنىٰ الأوَّل وهُو الأليقُ بالمقام باعتبارِ تعاليهِ عمَّا سواهُ في ذاتِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ التي من جملتها تنزيل القُرآنِ الكريمِ المُعجزِ النَّاطقِ بعلُوِّ شأنِه تعالىٰ وسموِّ صفاتِه، وابتناءِ أفعالِه علىٰ أساس الحِكَمِ والمصالحِ وخلوِّها عن شائبة الخَلَلِ بالكُلِّيةِ، وصيغةُ التَّفاعلُ للمبالغةِ فيما ذكر. وعلىٰ المعنىٰ الثَّاني باعتبارِ كثرةِ ما يفيضُ منهُ علىٰ مخلوقاتِهِ. والصِّيغةُ حينئذٍ يجوزُ أنْ تكون الإفادة نماءِ تلك الخيراتِ وتزايدها شيئًا فشيئًا وآنًا فآنًا، بحسبِ حدوثِها أو حدوثِ متعلَّقاتِها، ولاستقلالِها بالدِّلالة علىٰ غايةِ الكمالِ وتحقُّقِها بالفعلِ والإشعارِ بالتَّعجُّبِ المناسبِ للإنشاءِ والإنباءِ عن نهايةِ التَّعظيمِ، لم يجُز استعمالُها في حقِّ غيرِه تعالىٰ ولا استعمالُ غيرِها من الصِّيغِ في حقِّه تعالىٰ»[(٢)].

وقد ربط كثير من علماء التفسير بين أصول هذه الهداية التي تقود إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ في هذه السورة وبين نظيراتها في آيات القرآن، وهو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن.

قال ابن كثير وهو من العلماء الذين اهتموا بالتفسير المأثور: «يَقُولُ تَعَالَىٰ حَامِدًا لنفسه الْكَرِيمَةَ عَلَىٰ مَا نَزَّلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف]، وَقَالَ هَاهُنَا ﴿تَبَارَكَ﴾، وَهُوَ تَفَاعَلَ مِنَ الْبَرَكَةِ المستقرة الثابتة الدائمة»[(٣)].

وفي ذات السياق وعلىٰ نسق هذا المعنىٰ يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «وَظَاهِرُ قَوْلِهِ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ عَظَمَةِ اللهِ وَتَوَفُّرِ كَمَالَاتِهِ، فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ بِهِ التَّعْلِيمُ وَالْإِيقَاظُ، وَيَجُوزُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنْ إِنْشَاءِ ثَنَاءٍ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، أَنْشَأَ اللهُ بِهِ ثَنَاءً عَلَىٰ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٤).
(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٠٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٨٤).

نَفْسِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ فِي إِنْشَاءِ التَّعَجُّبِ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَكَلِّمِ فِي مَقَامِ الْفَخْرِ وَالْعَظَمَةِ»(١).

وانبنىٰ هذا الأصل من هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ علىٰ الكثير من صفات الله تعالىٰ، مثل صفة كونه الحي الذي لا يموت، وكونه رحمان رحيم، وكونه خالق كل شيء، وكونه الأول والآخر والظاهر والباطن وغيرها من صفات الكمال ونعوت الجلال التي تليق بكماله سبحانه، وهذه الصفات واردة ومذكورة في سور القرآن وآياته علىٰ نطاق واسع، ونجد علماء التفسير ينبهون علىٰ هذه الهدايات بصورة متفرقة في ثنايا تفاسيرهم.

قال ابن كثير تحت تفسير قوله تعالىٰ من هذه السورة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾، قال: وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَيْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا كُنْ مُتَوَكِّلًا عَلَىٰ اللهِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا، الَّذِي ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد]، الدَّائِمُ الْبَاقِي السَّرْمَدِيُّ الْأَبَدِيُّ الْحَيُّ القيوم، ورب كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، اجْعَلْهُ ذُخْرَكَ وَمَلْجَأَكَ، وَهُوَ الَّذِي يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَيُفْزَعُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ وَمُؤَيِّدُكَ وَمُظَفِّرُكَ». «قال: وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية، أَيْ: هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، الَّذِي خَلَقَ بقدرته السموات السَّبْعَ فِي ارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي سُفُولِهَا وَكَثَافَتِهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ أَيْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَيَقْضِي الْحَقَّ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ»(٢).

فهذا كله تصريح بهدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ من خلال هذه الآيات الكريمات.

وقال تحت تفسير قوله تعالىٰ من هذه السورة أيضًا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾: «يَقُولُ تَعَالَىٰ مُمَجِّدًا نَفْسَهُ ومعظما علىٰ جميل ما خلق في السَّمٰوات مِنَ الْبُرُوجِ، وَهِيَ الْكَوَاكِبُ الْعِظَامُ»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٣١٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٠٨).
(٣) المصدر السابق نفسه (٦/ ١٠٩).

ومن الصفات التي وردت في معرض هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [القصص].

قال ابن كثير: «يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِيَارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ مُنَازِعٌ وَلَا معقب، قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، أَيْ: مَا يَشَاءُ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَالْأُمُورُ كُلُّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا بِيَدِهِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ»(١).

وهذا تصريح منه رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الهداية، ونصٌّ منه علىٰ تعظيم الله تعالىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ].

وفي هاتين الآيتين من صفات الكمال مما يدل علىٰ عظمة الله تعالىٰ ما يعجز عن تسطيره القلم، قال ابن كثير: «يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ لَهُ الْحَمْدَ الْمُطْلَقَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الْمَالِكُ لِجَمِيعِ ذَلِكَ، الْحَاكِمُ فِي جميع ذلك، ...وَهُوَ اللهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. الْجَمِيعُ مِلْكُهُ وعبيده وتحت تصرفه وقهره، وقوله تعالىٰ: هُوَ الْحَكِيمُ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره الْخَبِيرُ الَّذِي لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ»(٢).

وبهذا يتبين لنا هذا الأصل من أصول هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ، وهو وصف الله تعالىٰ بالصفات التي تدل علىٰ عظمته سبحانه وتعالىٰ، وأنه موجود في القرآن الكريم علىٰ نطاق واسع، وبصفات كثيرة، وأن علماء التفسير رحمهم الله اهتموا بهذا الأصل والتنبيه عليه والتصريح به في ثنايا تفاسيرهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٢٢٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٣٦).

المبحث الثاني: الأصل الثاني

نسبة المُلْك الحق لله تعالى وحده

نسبة الملك الحقّ لله تعالىٰ من أعظم الصفات التي تليق بكمال الله تعالىٰ وجلاله، وهو من أصول الهدايات القرآنية في تعظيم الله تعالىٰ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواطن كثيرة منه، وقد ورد ذكر هذا الأصل في (سورة الفرقان) التي هي محل الدراسة في موضعين:

الأوَّل في قوله تعالىٰ -عطفًا علىٰ الأصل الأوَّل من أصول هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ الذي ورد في الآية الأولىٰ-: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾.

والموضع الثاني ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾.

وقد اشتملت الآية الأولىٰ علىٰ هذا الأصل محل الدراسة وعلىٰ أصول أخرىٰ من هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ.

قال الشيخ الشنقيطي: «قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، بَدَلٌ مِنَ الَّذِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ﴾، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَرْفُوعٌ عَلَىٰ الْمَدْحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ الْمَدْحِ. وَقَدْ أَثْنَىٰ جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِخَمْسَةِ أُمُورٍ، هِيَ أَدِلَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ لِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ: **الْأَوَّلُ** مِنْهَا: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوات وَالْأَرْضِ. **وَالثَّانِي**: أَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. **وَالثَّالِثُ**: أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ. **وَالرَّابِعُ**: أَنَّهُ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. **وَالْخَامِسُ**: أَنَّهُ قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ تَقْدِيرًا، وَهَذِهِ الْأُمُورُ الْخَمْسَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ جَاءَتْ مُوَضَّحَةً فِي آيَاتٍ أُخَرَ»[1].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «هِيَ أَدِلَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ لِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ» هو نصٌّ منه علىٰ هداية القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ.

وقد نص علىٰ هذا الأصل وبين بأنه من هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ علماء كثر يأتي علىٰ رأسهم شيخ المفسرين الإمام الطبري حيث قال: «ويعني بقوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٦).

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي له سلطان السَّمٰوات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضاءه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحقّ علىٰ من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه»[(١)].

وقال في الموضع الثاني: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ يقول: الملك الحقّ يومئذ خالص للرحمن دون كلّ من سواه، وبطلت الممالك يومئذ سوىٰ ملكه. وقد كان في الدنيا ملوك، فبطل الملك يومئذ سوىٰ ملك الجبار»[(٢)].

وممَّن أشار إلىٰ هداية القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ أبو السُّعود حيثُ قال: «أي: له خاصَّة دُونَ غيرِه لا استقلالًا ولا اشتراكًا، السلطان القاهرِ والاستيلاءِ الباهرِ عليهما، المستلزمانِ للقدرة التَّامَّةِ والتَّصرفِ الكليِّ فيهمَا وفيمَا فيهما، إيجادًا وإعدامًا وإحياءً وإماتة وأمرًا ونهيًا، حسبما تقتضيهِ مشيئتُه المبنيةُ علىٰ الحكم والمَصَالحِ»[(٣)]. وقال: «وأيًّا ما كان فالجملةُ جاريةٌ مجرىٰ التَّعليلِ لما قبلها من الجُمل المنتظمةِ مثلَها في سلك الصِّلةِ فإنَّ خلقَهُ تعالىٰ لجميع الأشياء علىٰ ذلك النَّمطِ البديعِ كما يقتضي استقلاله تعالىٰ باتِّصافه بصفات الأُلوهيَّةِ يقتضي انتظامَ كلِّ ما سواه كائنًا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيثُ لا يشِذُّ عنها شيءٌ من ذلك قطعًا وما كان كذلك كيف يُتوَّهم كونُه ولدًا له سبحانه أو شريكًا في ملكه»[(٤)].

وقال في الموضع الثاني: «﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: السَّلطنةُ القاهرةُ، والاستيلاءُ الكليُّ العام الثَّابتُ، صورةً ومعنىٰ، ظاهرًا وباطنًا، بحيثُ لا زوالَ له أصلًا، ثابت للرحمن يؤمئذ، فالمُلكُ مبتدأٌ والحقُّ صفتُه وللرحمن خبره، ويومئذ ظرفٌ لثبُوتِ الخبر للمبتدأِ، وفائدةُ التَّقييدِ أنَّ ثبوت المُلك المذكور له تعالىٰ خاصَّةً يومئذٍ، وأمَّا فيما عداهُ من أيَّامِ الدُّنيا فيكون لغيرهِ أيضًا تصرُّفٌ صوريٌّ في الجُملةِ»[(٥)].

قال البقاعي: «ولما كان ذلك اليوم سببًا لانكشاف الأمور ومعرفة أنه لا ملك لسواه سبحانه لأنه لا يقضي فيه غيره قال: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ تشقق السماء بالغمام؛ ثم وصف الملك بقوله: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي: الثابت، معناه: ثابتًا لا يمكن زواله؛ ثم أخبر عنه بقوله:

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٢٣٦).
(٢) المرجع السابق (١٩/ ٢٦١).
(٣) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٠٠).
(٤) المرجع السابق (٦/ ٢٠١).
(٥) المرجع السابق (٦/ ٢١٣).

﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي العام الرحمة في الدارين، ومعنىٰ التركيب أن ملك غيره في ذلك اليوم إنما هو بالاسم الذي تقدم له في الدنيا تسميته به فقط، لا حكم له أصلًا ولا ظاهرًا كما كان في الدنيا»(١).

وقد ربط ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بين هداية القرآن في تعظيم الله تعالىٰ في هذا الموطن من سورة الفرقان ونظيره في القرآن الكريم، حيث قال: «كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨] الآية، أي: الذي أرسلني هو مالك السموات وَالْأَرْضِ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾، ونزه نَفْسَهُ عَنِ الْوَلَدِ وَعَنِ الشَّرِيكِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أنه خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا أَيْ كُلُّ شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ مَرْبُوبٌ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره»(٢).

وهكذا فعل في الموضع الثاني حيث قال: «﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦]. وَفِي (الصَّحِيحِ): «إِنَّ اللهَ تعالىٰ يطوي السموات بِيَمِينِهِ، وَيَأْخُذُ الْأَرَضِينَ بِيَدِهِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟ أين الجبارون، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»(٣).

وهذا الأصل من هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ وَهُوَ أَنَّهُ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَقَدْ جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ من سور القرآن الكريم؛ منها:

قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾[المائدة].

قال الطبري: «يقول جل ثناؤه: إنَّ الله مدبِّر ما في السموات وما في الأرض، ومصرفه وخالقه، لا يمتنع شيء مما في واحدة منهما مما أرادَه، لأن كل ذلك ملكه، وإليه أمره، ولا نسب بينه وبين شيء مما فيهما ولا مما في واحدة منهما، فيحابيه بسبب قرابته منه، فينجيه من عذابه، وهو به كافر، ولأمره ونهيه مخالف»(٤).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٧٣).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٨٥).
(٣) المرجع السابق (٦/ ٩٧).
والحديث أخرجه مسلم (٢٤).
(٤) جامع البيان (١٠/ ٣٠٠٣٠١).

وقال القشيري: «بيّن أنه لا يعذّب من يعذّب بعلّة، ولا يرحم من يرحم بعلة، وإنما يتصرف في عبده بحق ملكه، وأنّ الحكم حكمه، والأمر أمره»(١).

ومنها: قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور].

قال أبو حيان في بيان هذه الهداية: «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ إِخْبَارٌ بِأَنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ تَحْتَ مُلْكِهِ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ تَصَرُّفَ الْقَاهِرِ الْغَالِبِ. وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ أَيْ إِلَىٰ جَزَائِهِ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ. وَفِي ذَلِكَ تَذْكِيرٌ وَتَخْوِيفٌ»(٢).

وقال الرازي: «اعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا وَصَفَ أَنْوَارَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَظُلُمَاتِ قُلُوبِ الْجَاهِلِينَ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِدَلَائِلِ التَّوْحِيدِ، وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ اسْتِفْهَامًا فَالْمُرَادُ التَّقْرِيرُ وَالْبَيَانُ، فَنَبَّهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا يَلْزَمُ مِنْ تَعْظِيمِهِ بِأَنَّ مَنْ فِي السموات يُسَبِّحُ لَهُ وَكَذَلِكَ مَنْ فِي الْأَرْضِ». وقال: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ التَّسْبِيحِ دَلَالَةُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ كَوْنِهِ تَعَالَىٰ مُنَزَّهًا عَنِ النَّقَائِصِ مَوْصُوفًا بِنُعُوتِ الْجَلَالِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهَا تَنْطِقُ بِالتَّسْبِيحِ وَتَتَكَلَّمُ بِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ فِي حَقِّ الْبَعْضِ الدَّلَالَةَ عَلَىٰ التَّنْزِيهِ وَفِي حَقِّ الْبَاقِينَ النُّطْقَ بِاللِّسَانِ، وَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ أَقْرَبُ»(٣).

وقال القاضي البيضاوي: «﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فإنه الخالق لهما وما فيهما من الذوات والصفات والأفعال من حيث إنها ممكنة واجبة الانتهاء إلىٰ الواجب»(٤).

ومنها: قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

قال الرَّازِيُّ: «أَيْ: ذَلِكَ الذي فعل هذه الأشياء من فطر السموات وَالْأَرْضِ، وَإِرْسَالِ الْأَرْوَاحِ، وَإِرْسَالِ الرِّيَاحِ، وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ تُرَابٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ فَلَا مَعْبُودَ إِلَّا هُوَ لِذَاتِهِ الْكَامِلِ وَلِكَوْنِهِ مَلِكًا، وَالْمَلِكُ مَخْدُومٌ بِقَدْرِ مُلْكِهِ، فَإِذَا كَانَ لَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ فَلَهُ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا، ثُمَّ بَيَّنَ مَا يُنَافِي صِفَةَ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾»(٥).

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٢٣).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٥٦).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٠١).
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١١٠).
(٥) مفاتيح الغيب (٢٦/ ٢٢٨).

ومنها: قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [المُلك].

قال النسفي: «﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعالىٰ وتعاظم عن صفات المخلوقين ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أي بتصرفه الملك والاستيلاء علىٰ كل موجود، وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المقدورات أو من الإنعام والانتقام (قَدِيرٌ) قادر علىٰ الكمال»[1].

والآيات الخاصة بهذا الأصل من أصول الهدايات القرآنية في تعظيم الله تعالىٰ وهو نسبة الملك الحق لله تعالىٰ غير ما ذكرنا كثيرة واردة بأساليب قرآنية بديعة، ولا شك أن اتصاف الله تعالىٰ بأن له الملك الحق وحده، وأنه المتصرف فيه من الأصول الراسخة التي قامت عليها هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٥١٠).

المبحث الثالث: الأصل الثالث

نفي الولد والشريك مع الله تعالى

الأصل الثالث من أصول هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ هو نفي الولد والشريك مع الله تعالىٰ، وهما في الواقع ثلاثة أصول: الأول متعلق بنفي الولد، والثاني نفي الشريك، والثالث نفي الصاحبة، وقد ورد ذكر هذه الأصول كثيرا في القرآن الكريم، ذكرت في بعض الآيات مجتمعة وفي بعضها منفردة، وقد وردت في (سورة الفرقان) التي هي محل الدراسة مجتمعة في الآية الثَّانية منها:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾.

يلاحظ في هذه الآية أنها اشتملت علىٰ عدد من الأصول تناولنا بعضها في المبحث السابق، وبعضها وهو نفي الولد والشريك مع الله تعالىٰ هو محل الدراسة في هذا المبحث.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور في التنويه بالصفات التي وردت في هذه الآية مبينا بلاغة القرآن في طريقة صياغتها وترتيبها: «أُجْرِيَتْ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ هَذِهِ الصِّفَاتُ الْأَرْبَعُ بِطَرِيقِ تَعْرِيفِ الْمَوْصُولِيَّةِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الصِّلَاتِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ اتِّصَافُ اللهِ بِهِ، وَهُمَا الصِّفَتَانِ الْأُولَىٰ وَالرَّابِعَةُ، وَإِذْ قَدْ كَانَتَا مَعْلُومَتَيْنِ كَانَتِ الصِّلَتَانِ الْأُخْرَيَانِ الْمَذْكُورَتَانِ مَعَهُمَا فِي حُكْمِ الْمَعْرُوفِ؛ لِأَنَّهُمَا أُجْرِيَتَا عَلَىٰ مَنْ عُرِفَ بِالصِّلَتَيْنِ الْأُولَىٰ وَالرَّابِعَةِ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَمْتَرُونَ فِي أَنَّ اللهَ هُوَ مَالِكُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ، وَلَا فِي أَنَّ اللهَ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون]، وَلَكِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ وَلَدًا وَشَرِيكًا فِي الْمُلْكِ».

قال: «وَمِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ أَنْ جَعَلَ الْوَصْفَانِ الْمُخْتَلَفِ فِيهِمَا مَعَهُمْ مُتَوَسِّطَيْنِ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا مِرْيَةَ فِيهِمَا حَتَّىٰ يَكُونَ الْوَصْفَانِ الْمُسَلَّمَيْنِ كَالدَّلِيلِ أَوَّلًا وَالنَّتِيجَةِ آخِرًا، فَإِنَّ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا وَلَا أَنْ يَتَّخِذَ شَرِيكًا؛ لِأَنَّ مُلْكَهُ الْعَظِيمَ

يَقْتَضِي غِنَاهُ الْمُطْلَقَ فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ اتِّخَاذُهُ وَلَدًا وَشَرِيكًا عَبَثًا إِذْ لَا غَايَةَ لَهُ، وَإِذَا كَانَتْ أَفْعَالُ الْعُقَلَاءِ تُصَانُ عَنِ الْعَبَثِ فَكَيْفَ بِأَفْعَالِ أَحْكَمِ الْحُكَمَاءِ تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ»[١].

قال الإمام الطَّبريُّ في التَّنويه بهذه الهداية مع بيان عظمة الله تعالىٰ واستحقاقه لأن تخلص له العبادة وحده: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ يقول: تكذيبا لمن أضاف إليه الولد، وقال: الملائكة بنات الله، ما اتخذ الذي نزل الفرقان علىٰ عبده ولدا، فمن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافترىٰ علىٰ ربه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ يقول تكذيبا لمن كان يضيف الألوهة إلىٰ الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب، كذب قائلو هذا القول، ما كان لله من شريك في مُلكه وسلطانه، فيصلح أن يعبد من دونه. يقول تعالىٰ ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان علىٰ عبده محمد نبيه ﷺ الألوهة، وأخلصوا له العبادة دون كلّ ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجنّ والإنس، فإن كلّ ذلك خلقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك»[٢].

قال ابن كثير: «نزه نَفْسَهُ عَنِ الْوَلَدِ وَعَنِ الشَّرِيكِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أنه خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا، أَيْ كُلُّ شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ مَرْبُوبٌ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره». وقال: «فَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ لِأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يكن، وهو الذي لا ولد ولا والد له وَلَا عَدِيلَ وَلَا نَدِيدَ، وَلَا وَزِيرَ وَلَا نَظِيرَ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحد»[٣].

قال القرطبي: «﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ نَزَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَفْسَهُ عَمَّا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَوْلَادُ اللهِ، يَعْنِي بَنَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وَعَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، جَلَّ اللهُ تَعَالَىٰ. وَعَمَّا قَالَتِ النَّصَارَىٰ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كما قال عبدة الأوثان»[٤].

بهذا يتضح لنا هذا الأصل من أصول هدايات القرآن في تعظيم الله تعالىٰ، واهتمام المفسرين بإبرازه والنص علىٰ أن ذلك له تعلق مباشر بصفات الكمال الخاصة بالله تعالىٰ في هذه السورة.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٣١٨).
(٢) جامع البيان (١٩/ ٢٣٦).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٨٥).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢).

وقد ورد ذكر هذه الأصول مجتمعة في غير موضع من القرآن الكريم، من ذلك:

قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام].

اجتمع في هذه الآية ذكر أنه تعالىٰ ليس له ولد ولم تكن له صاحبة.

قال القرطبي: «﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أَيْ مِنْ أَيْنَ يكون له ولد. وولد كل شي شَبِيهُهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ. ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ أي: زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ عُمُومٌ مَعْنَاهُ الْخُصُوصُ، أَيْ: خَلَقَ الْعَالَمَ، وَلَا يدخل في ذلك كلامه وصفات ذَاتِهِ»[(١)].

قال القِنَّوجي: «والاستفهام في ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ للإنكار والاستبعاد، أي من كان هذا وصفه وهو أنه خالقهما ومبدع ما فيهما فكيف يكون له ولد؟ وهو من جملة مخلوقاته وكيف يتخذ ما يخلقه ولدًا ثم بالغ في نفي الولد فقال: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ أي: والحال أنه لم تكن له صاحبة، والصاحبة إذا لم توجد استحال وجود الولد، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ جملة مقررة لما قبلها؛ لأن من كان خالقًا لكل شيء استحال منه أن يتخذ بعض مخلوقاته ولدًا، وهذه الآية حجة قاطعة علىٰ فساد قول النَّصارىٰ»[(٢)].

ومنها: قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن].

قال أبو السعود: «﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: ارتفع عظمته. منْ جَدَّ فلانٌ في عَيْني: أيْ عظُم تمكنُّهُ أو سلطانه أو غناه، والمعنىٰ وصفه بالاستغناء عنِ الصاحبةِ والولدِ لعظمتِه أو لسلطانه أو لغناهُ. ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ أيْ صدقُ ربوبيتِه وحقّ إلهيته عنِ اتخاذِ الصاحبةِ والولدِ؛ وذلكَ أنَهُم لَمَّا سمعُوا القرآنَ ووفقُوا للتوحيدِ والإيمانِ تنبهوا للخطأ فيما اعتقدوه كفرةُ الجنِّ من تشبيهِ الله تعالَىٰ بخلقِه في اتخاذِ الصاحبةِ والولدِ فاستعظمُوه ونزهُوه تعالَىٰ عَنْهُ[(٣)].

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر نفي الولد والشريك:

قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٥٤).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٤/ ٢١١).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٩/ ٤٣)، باختصار وتلخيص.

قال القِنَّوجي: «﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ أي مشارك له في ملكه وألوهيته وربوبيته كما تزعمه الثنوية ونحوهم من الفرق القائلين بتعدد الآلهة ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: لم يحتج إلىٰ موالاة أحد لذل يلحقه فهو مستغن عن الولي والنصير. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أي: وعظمه تعظيمًا تامًا وصفه بأنه أعظم من كل شيء»[(١)].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: «وَجُمْلَةُ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَقْتَضِي تَخْصِيصَهُ تَعَالَىٰ بِالْحَمْدِ، أَيْ قَصْرِ جِنْسِ الْحَمْدِ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مُسْتَحِقٍّ لِأَنْ يُحْمَدَ. وَالْمُرَادُ: نَفْيُ النَّاصِرِ لَهُ عَلَىٰ وَجْهٍ مُؤَكَّدٍ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ إِلَىٰ النَّاصِرِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الِانْتِصَارِ لِلنَّفْسِ. وَمَعْنَىٰ كَبِّرْهُ اعْتَقِدْ أَنَّهُ كَبِيرٌ، أَيْ عَظِيمٌ الْعِظَمَ الْمَعْنَوِيَّ الشَّامِلَ لِوُجُوبِ الْوُجُودِ وَالْغِنَىٰ الْمُطْلَقِ، وَصِفَاتِ الْكَمَالِ كُلِّهَا الْكَامِلَةِ التَّعَلُّقَاتِ، لِأَنَّ الِاتِّصَافَ بِذَلِكَ كُلِّهِ كَمَالٌ، وَالِاتِّصَافَ بِأَضْدَادِ ذَلِكَ نَقْصٌ وَصَغَارٌ مَعْنَوِيٌّ»[(٢)].

قال الشيخ الشنقيطي: «أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ النَّاسَ ... أَنْ يَقُولُوا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أَيْ: كُلُّ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ لَائِقٍ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، ثَابِتٌ لَهُ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَوْلَادِ وَالشُّرَكَاءِ وَالْعِزَّةِ بِالْأَوْلِيَاءِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ تَعْظِيمًا شَدِيدًا، وَيَظْهَرُ تَعْظِيمُ اللهِ فِي شِدَّةِ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ كُلِّ مَا يُرْضِيهِ»[(٣)].

ومنها: قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون].

قال القاضي البيضاويُّ: «﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ لتقدسه عن مماثلة أحد، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ يساهمه في الألوهية، ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه، أي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيام البرهان علىٰ استناد جميع الممكنات إلىٰ واجب واحد. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشريك لما سبق من الدليل علىٰ فساده»[(٤)].

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٤٧٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٣٩).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٨٩-١٩٠).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٩٤).

وأما كَوْنُهُ تَعَالَىٰ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، فَقَدْ جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ منفرا عن نسبة الشريك مع الله تعالىٰ، ونفي الصاحبة، من ذلك:

قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء]. وهنا ورد ذكر نفي الولد منفردا عن الشريك والصاحبة.

قال البيضاوي: «﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله، والهمزة للإنكار والمعنىٰ: أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم البنون، ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بنات لنفسه، وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بإضافة الأولاد إليه، وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها، ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم»[(١)].

ومنها: قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ بَنَاتُ اللهِ، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَيْ: بِهَذَا الْقَوْلِ الذي افتروه وائتفكوه، ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ أي: لأسلافهم، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ نُصِبَ عَلَىٰ التَّمْيِيزِ تَقْدِيرُهُ كَبُرَتْ كَلِمَتُهُمْ هَذِهِ كَلِمَةً. وَقِيلَ: عَلَىٰ التَّعَجُّبِ تَقْدِيرُهُ أَعْظِمْ بِكَلِمَتِهِمْ كَلِمَةً وَالْمَعْنَىٰ عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ أَظْهَرُ، فَإِنَّ هَذَا تَبْشِيعٌ لِمَقَالَتِهِمْ وَاسْتِعْظَامٌ لِإِفْكِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ سِوَىٰ قَوْلِهِمْ، وَلَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَذِبُهُمْ وَافْتِرَاؤُهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾»[(٢)].

ومنها: قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم].

قال أبو السعود: «﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ حكايةٌ لجناية اليهودِ والنصارىٰ ومن يزعُم من العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالىٰ عن ذلكَ عُلوًا كبيرًا، إثرَ حكاية عبَدةِ الأصنام

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٥٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ١٢٣).

بطريق عطفِ القصة علىٰ القصة، وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ ردٌّ لمقالتهم الباطلةِ وتهويلٌ لأمرها بطريق الالتفات المبني عن كمال السخطِ وشدةِ الغضب المُفصِح عن غاية التشنيعِ والتقبيحِ وتسجيلٌ عليهم بنهاية الوقاحةِ والجهل والجراءة»[(١)].

ومن الآيات التي انفرد فيها ذكر نفي الشريك مع الله تعالىٰ:

قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ].

قال ابن القيم: «فتأمل كيف أخذت هذه الآية علىٰ المشركين مجامع الطرق التي دخلوا منها إلىٰ الشرك وسدت بها عليهم الباب أبلغ سد وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو كان لا يرجو منفعة منه فلا يتعلق قلبه به أبدا. وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود إما مالكا للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو شريكا لمالكها، أو ظهيرا أو وزيرا أو معاونا له، أو وجيها ذا حرمة وقدر، يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده»[(٢)].

قال ابن كثير: «بَيَّنَ تبارك وتعالىٰ أَنَّهُ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ هُوَ الْمُسْتَقِلُّ بِالْأَمْرِ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ مُشَارِكٍ وَلَا مُنَازِعٍ وَلَا مُعَارِضٍ، فَقَالَ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: مِنَ الْآلِهَةِ الَّتِي عُبِدَتْ مِنْ دُونِهِ، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[فاطر: ١٣]، وَقَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ أَيْ: لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا اسْتِقْلَالًا وَلَا عَلَىٰ سَبِيلِ الشَّرِكَةِ، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ أَيْ: وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ مِنْ ظَهِيرٍ يُسْتَظْهَرُ بِهِ فِي الْأُمُورِ، بَلِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فُقَرَاءُ إِلَيْهِ عُبَيْدٌ لَدَيْهِ[(٣)].

ومنها: قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر].

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور: «وَالِاسْتِفْهَامُ إِمَّا تَقْرِيرِيٌّ لِيَشْهَدَ الطُّغَاةُ مِنْ أَهْلِ الْمَحْشَرِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُخْطِئِينَ فِيمَا يَزْعُمُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ مُلْكٍ لِأَصْنَامِهِمْ حِينَ

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٨٢).
(٢) تفسير القرآن الكريم لابن القيم (٤٣٥).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٥٤).

يُضِيفُونَ إِلَيْهَا التَّصَرُّفَ فِي مَمَالِكَ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، اسْتِفْهَامًا مُرَادًا مِنْهُ تَخْوِيفُهُمْ مِنَ الظُّهُورِ يَوْمَئِذٍ، أَيْ أَيْنَ هم الْيَوْم لماذَا لَمْ يَظْهَرُوا بِعَظَمَتِهِمْ وَخُيَلَائِهِمْ»[(١)].

قال: «وَذِكْرُ الصِّفَتَيْنِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنَ الصِّفَاتِ الْعُلَىٰ؛ لِأَنَّ لِمَعْنَيَيْهِمَا مَزِيدَ مُنَاسَبَةٍ بِقَوْلِهِ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ حَيْثُ شُوهِدَتْ دَلَائِلُ الْوَحْدَانِيَّةِ لله وقهره جَمِيع الطغاة والجبارين»[(٢)].

(١) التحرير والتنوير (٢٤/ ١١٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤/ ١١١).

المبحث الرابع: الأصل الرابع

التذكير بأن الله تعالى مختص بعلم دقائق الأمور

من أصول هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ التذكير بأن الله تعالىٰ مختص بعلم دقائق الأمور كلها، ولا تخفىٰ عليه خافية، وأنه يعلم السر وأخفىٰ، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السَّمٰوات ولا في الأرض، وأنه تعالىٰ يعلم ما تُكِنُّ صدور العالمين وما يعلنون، وهو من الأصول التي تؤدي إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ؛ لأن العبد إذا علم علما يقينيا أن الله مطلع علىٰ كل صغيرة وكبيرة وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وعلم أن الله تعالىٰ مراقب له في كل أحواله لا محالة راقب ربه وعظم أمره.

وقد ورد هذا الأصل في آيات كثيرة من سور القرآن الكريم بأساليب متنوعة وتعبيرات بديعة، وورد في هذه السورة محل الدراسة في موضعين، الأول في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان].

والثَّاني في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان].

أمّا الموضع الأول؛ فقال فيه ابن كثير: «وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي جَوَابِ مَا عَانَدُوا هَاهُنَا وَافْتَرَوْا: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، أَيْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْمُشْتَمِلَ عَلَىٰ أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ إِخْبَارًا حقًّا صِدْقًا مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ فِي الخارج ماضيا ومستقبلا، ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أَيِ اللهُ الَّذِي يَعْلَمُ غيب ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر»[1].

قال الشَّيخ الطاهر بن عاشور: «لَقَّنَ اللهُ رَسُولَهُ الْجَوَابَ لِرَدِّ بُهْتَانِ الْقَائِلِينَ إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ إِلَّا إِفْكٌ، وَإِنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، بِأَنَّهُ أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ. وَعَبَّرَ عَنْ مُنْزِلِ الْقُرْآنِ بِطَرِيقِ الْمَوْصُولِ لِمَا تَقْتَضِيهِ الصِّلَةُ مِن اسْتِشْهَادِ الرَّسُولِ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي سِرِّهِ لِأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ سِرٍّ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَفِي ذَلِكَ إِيقَاظٌ لَهُمْ بِأَنْ يَتَدَبَّرُوا فِي هَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ إِفْكًا أَوْ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ لِيَظْهَرَ لَهُمُ اشْتِمَالُهُ عَلَىٰ الْحَقَائِقِ النَّاصِعَةِ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا اللهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ، فَيُوقِنُوا أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ إِنْزَالِهِ»[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٨٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ٣٢٥).

قال: «وَالتَّعْرِيفُ فِي السِّرَّ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ يَسْتَغْرِقُ كُلَّ سِرٍّ، وَمِنْهُ إِسْرَارُ الطَّاعِنِينَ فِي الْقُرْآنِ عَنْ مُكَابَرَةٍ وَبُهْتَانٍ، أَيْ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا يَعْتَقِدُونَهُ ظُلْمًا وَزُورًا مِنْهُمْ، وَبِهَذَا يُعْلَمُ مُوقِعُ جُمْلَةِ: إِنَّهُ كانَ غَفُورًا رَحِيمًا تَرْغِيبًا لَهُمْ فِي الْإِقْلَاعِ عَنْ هَذِهِ الْمُكَابَرَةِ وَفِي اتِّبَاعِ دِينِ الْحَقِّ لِيَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ وَيَرْحَمَهُمْ، وَذَلِكَ تَعْرِيضٌ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُقْلِعُوا وَيَتُوبُوا حَقَّ عَلَيْهِمُ الْغَضَبُ وَالنِّقْمَةُ»[١].

قال البقاعي: «﴿ٱلَّذِى يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أي كله، لا يخفىٰ عليه منه خافية فكيف بالجهر! ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فهو يجيبكم عن كل ما تَقَوَّلْتُموه فِيَّ وفي كتابه وإن أسررتموه، ويبين جميع ما يحتاج إليه العباد في الدارين في كلام معجز لفظًا ومعنىٰ علىٰ وجه يتحقق كل ذي لب أنه لا يقوله إلا عالم بجميع المعلومات، ولا يحيط بجميع المعلومات سواه، وهذا ظاهر جدًّا من إخباره بالماضي بما يصدقه العلماء من الماضين، وحكمه علىٰ الآتي بما يكون ضربة لازم، وإظهاره الخبء وإحكامه لجميع ما يقوله»[٢].

وقال أبو السعود: «وصفه تعالىٰ بإحاطةِ علمِه بجميع المعلومات الجليَّةِ والخفيَّةِ للإيذان بانطواءِ ما أنزله علىٰ أسرارٍ مطويَّةٍ عن عقول البشر مع ما فيه من التَّعريضِ بمجازاتِهم بجناياتهم المحكيَّةِ التي هي من جُملة معلوماتِه تعالىٰ أي ليس ذلك ممَّا يُفترىٰ ويُفتعل بإعانة قومٍ وكتابة آخرين من الأحاديثِ المُلفَّقة وأساطيرِ الأوَّلينَ بل هو أمر سماويٌّ أنزله الله الذي لاَ يعزُب عنْ علمِه شيء من الأشياءِ وأودع فيه فنونَ الحكمِ والأسرارِ علىٰ وجهٍ بديعٍ لا يحومُ حوله الأفهامُ حيث أعجزَكم قاطبةً بفصاحتِه وبلاغتِه وأخبركم بمغيَّباتٍ مستقبلةٍ وأمورٍ مكنونةٍ لا يُهتدىٰ إليها ولا يُوقف عليها إلا بتوفيق العليم الخبيرِ»[٣].

قال الشيخ الشنقيطي: «وَقَوْلُهُ هُنَا: ﴿ٱلَّذِى يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، أَيْ: وَمَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ»[٤].

هذه الأقوال التي نقلناها عن أئمة التفسير تبين بجلاء أهمية هذا الأصل وأنهم من أهم هدايات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٣٢٦).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٤١).
(٣) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٠٣).
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ١٦).

وأمَّا الموضع الثاني الذي ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان].

فقد قال فيه ابن كثير أيضًا: «وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ أي: بعلمه التَّامِّ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ»(١).

وقد وردت آيات أخرىٰ في القرآن الكريم في هذا الأصل بأساليب متنوعة وتعبيرات بليغة، منها:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

قال ابن كثير: «هَذِهِ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِعِلْمِهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ إِعْلَامِهِ تَعَالَىٰ بِهَا، فَعِلْمُ وَقْتِ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، لَا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ، وَكَذَلِكَ إِنْزَالُ الْغَيْثِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَلَكِنْ إِذَا أَمَرَ بِهِ عَلِمَتْهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بذلك، ومن يشاء اللهُ مَنْ خَلْقِهِ، وَكَذَلِكَ لَا يَعْلَمُ مَا في الأرحام مما يريد أن يخلقه تَعَالَىٰ سِوَاهُ، وَلَكِنْ إِذَا أَمَرَ بِكَوْنِهِ ذكرًا أَوْ أُنْثَىٰ أَوْ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا، عَلِمَ الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذا لَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا فِي دُنْيَاهَا وَأُخْرَاهَا، وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ فِي بَلَدِهَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَيِّ بِلَادِ اللهِ كَانَ، لَا عِلْمَ لِأَحَدٍ بِذَلِكَ، وَهَذِهِ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]. وَقَدْ وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِتَسْمِيَةِ هَذِهِ الْخَمْسِ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ»(٢).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ: إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحامِ، وَما تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**»(٣).

قال الإمام الطبري في بيان هذه الهداية: «إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كلّ أحد سواه، إنه ذو علم بكلّ شيء، لا يخفىٰ عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان»(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٠٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩)، وأحمد (٢/ ٢٤، ٥٢، ٥٨). وأخرجه أحمد من حديث بُريدة (٥/ ٣٥٣).

(٤) جامع البيان (٢٠/ ١٥٩).

قال القشيريُّ: «يتفرّد بعلم القيامة، ويعلم ما في الأرحام ذكورها وإناثها، شقيها وسعيدها، وحسنها وقبيحها، ويعلم متىٰ ينزّل الغيث، وكم قطرة ينزلها، وبأيّ بقعة يمطرها. وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا من خير وشر، ووفاق وشقاق، وما تدرىٰ نفس بأي أرض تموت أتدرك مرادها أم يفوت؟»(١).

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [القصص: ٦٩].

قال ابن كثير: «أَيْ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ السَّرَائِرُ، كَمَا يَعْلَمُ مَا تُبْدِيهِ الظَّوَاهِرُ مِنْ سَائِرِ الْخَلَائِقِ ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠]».

قال القشيري: «ولم لا وقد قال: «﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [المُلك: ١٤]؟ فالعلم -الذي لا يعزب عنه معلوم- نعت من لم يزل، والإبداع من العدم إلىٰ الوجود يتفرّد بالقدرة عليه لم يزل»(٢).

وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَات الْكَرِيمَةُ، علىٰ هذا الأصل من أصول الهدايات القرآنية في تعظيم الله تعالىٰ، مِنْ كَوْنِهِ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه]، وقوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [السجدة]، وقوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزُّخرُف]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [المُلك].

وغيرها كثير في القرآن الكريم.

---

(١) لطائف الإشارات (٣/ ١٣٧).

(٢) لطائف الإشارات (٣/ ٧٧).

المبحث الخامس: الأصل الخامس

التركيز على وصف خلق الله تعالى بما يدل على عظمته سبحانه

يعدّ هذا الأصل من أصول هدايات القرآن في تعظيم الله تعالىٰ من أوسع الأصول ذكرًا في القرآن الكريم باعتبار أن الحديث عن عظيم خلق الله تعالىٰ وإبداعه لمخلوقاته قد جاء متنوعا وموسعا ومغطيا لجوانب عديدة من خلق الله تعالىٰ؛ الحديث عن خلق السَّمٰوات وما فيها من الأجرام والأكوان والفلك وغيرها، والحديث عن الأرضين وما فيها من البحار والجبال والسهول والوديان والإنس والجان وغيرها، كل ذلك جعل حديث القرآن الكريم عن ذلك حديثا بدعا ممتعا مؤديا لا محالة إلىٰ عظمة الخالق المدبر لأمر الخلق كلهم.

وقد ورد الحديث في هذه السورة فيما يتعلق بوصف خلق الله تعالىٰ العظيم المبدع في نحو خمس مجموعات هي في جملتها أشبه بالصور البيانية البديعة في التصوير القرآني لبيان إحكام الخلق بما يدل علىٰ القدرة الباهرة والعظمة المتناهية التي تليق بجلال الله تعالىٰ، وإلىٰ الحديث عن هذه المجموعات البديعة:

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان].

هذه الصورة البديعة من خلق الله تعالىٰ هي من الأمور البدهية المشاهدة التي يعرفها الناس جميعا، والقرآن قد عبر عنها وصورها بصورة دقيقة تدل علىٰ عظمة الخالق المبدع.

قال ابن كثير مصورا هذه الصورة الدالة علىٰ عظمة الخالق: «مِنْ هَاهُنَا شَرَعَ سبحانه وتعالىٰ فِي بَيَانِ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ وُجُودِهِ وَقُدْرَتِهِ التَّامَّةِ عَلَىٰ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَضَادَّةِ، فَقَالَ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أَيْ لَوْلَا أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ عَلَيْهِ لَمَا عُرِفَ، فَإِنَّ الضِّدَّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِضِدِّهِ»[1].

قال أبو حيان: «لَمَّا بَيَّنَ تَعَالَىٰ جَهْلَ الْمُعْتَرِضِينَ عَلَىٰ دَلَائِلِ الصَّانِعِ وَفَسَادِ طَرِيقَتِهِمْ ذَكَرَ أَنْوَاعًا مِنَ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ، لَعَلَّهُمْ يَتَدَبَّرُونَهَا وَيُؤْمِنُونَ بِمَنْ هَذِهِ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٠٣).

قُدْرَتُهُ وَتَصَرُّفُهُ فِي عَالَمِهِ، فَبَدَأَ بِحَالِ الظِّلِّ فِي زِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ وَتَغَيُّرِهِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ وَأَنَّ ذَلِكَ جَارٍ عَلَىٰ مَشِيئَتِهِ»[١]. وقال: «وَهَذِهِ الْآيَةُ مَعَ دَلَالَتِهَا عَلَىٰ قُدْرَةِ الْخَالِقِ فِيهَا إِظْهَارٌ لِنِعْمَتِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، لِأَنَّ الِاحْتِجَابَ بِسِتْرِ اللَّيْلِ كَمْ فِيهِ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَوَائِدُ دِينِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ»[٢].

قال البقاعي: «ولما كان إيجاد النهار بعد إعدامه، وتبيين الظل به غبّ إبهامه، أمرًا عظيمًا، وإن كان قد هان بكثرة الإلف، أشار بأداة التراخي ومقام العظمة، فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾ أي بعظمتنا ﴿الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي يدور معها حيثما دارت، فلولا هي ما ظهر أن لشيء ظلًا، ولولا النور ولما كانت إزالته شيئًا فشيئًا بعد مدة كذلك من العظمة بمكان. قال منبهًا علىٰ فضل مدخول ﴿ثُمَّ﴾ وترتبه متصاعدًا في درج الفضل، فما هنا أفضل مما قبله، وما قبله أجلّ مما تقدمه، تشبيهًا لتباعد ما بين المراتب الثلاث في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت»[٣].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: «والاستفهام تقريري فَهُوَ صَالِحٌ لِطَبَقَاتِ السَّامِعِينَ: مِنْ غَافِلٍ يُسْأَلُ عَنْ غَفْلَتِهِ لِيُقِرَّ بِهَا تَحْرِيضًا عَلَىٰ النَّظَرِ، وَمِنْ جَاحِدٍ يُنْكَرُ عَلَيْهِ إِهْمَالُهُ النَّظَرَ، وَمِنْ مُوَفَّقٍ يُحَثُّ عَلَىٰ زِيَادَةِ النَّظَرِ». فَذَلِكَ التَّفَاوُتُ فِي مَقَادِيرِ ظِلِّ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ هُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْمَدِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَتِلْكَ كُلُّهَا دَلَائِلُ كَثِيرَةٌ مِنْ دَقَائِقِ التَّكْوِينِ الْإِلَهِيِّ وَالْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ»[٤].

قال ابن القيم: «فهذا من أعظم آياته الدالة علىٰ عظيم قدرته وكمال حكمته. فندب سبحانه إلىٰ رؤية صنعته وقدرته وحكمته في هذا الفرد من مخلوقاته. ولو شاء ربنا لجعله لاصقا بأصل ما هو ظل له، من جبل وبناء وشجر وغيره، فلم ينتفع به أهله، فإن كمال الانتفاع به تابع لمده وبسطه وتحوله من مكان إلىٰ مكان»[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان].

قال ابن كثير: «وَهَذَا أَيْضًا مِنْ قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ، أَيْ بِمَجِيءِ السَّحَابِ بَعْدَهَا»[٦].

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٨/ ١١١).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/ ١١٥).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٩، ٧٣، ٩٨).
(٤) التحرير والتنوير (١٩/ ٣٩، ٤٠).
(٥) تفسير القرآن الكريم لابن القيم (٤١٠).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٠٤).

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان].

قال ابن عطية: «والذي أقول به في الآية إن المقصد بها التنبيه علىٰ قدرة الله تعالىٰ وإتقان خلقه للأشياء في أن بث في الأرض مياها عذبة كثيرة من أنهار وعيون وآبار، وجعلها خلال الأجاج وجعل الأجاج خلالها، فتلقىٰ البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه، وتلقىٰ الماء العذب في الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماء الأجاج فبثها هكذا في الأرض هو خلطها»[(١)].

قال القشيري: «البحر الملح لا عذوبة فيه، والعذب لا ملوحة فيه، وهما في الجوهرية واحد، ولكنه -سبحانه- بقدرته غاير بينهما فىٰ الصفة»[(٢)].

قال تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان].

قال أبو حيان: «وَالْمَعْنَىٰ لِيَنْظُرَ فِي اخْتِلَافِهِمَا النَّاظِرُ فَيَعْلَمَ أَنْ لَا بُدَّ لِانْتِقَالِهِمَا مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ وتغيرهما من نافل وَمُغَيِّرٍ، وَيَسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ عِظَمِ قُدْرَتِهِ وَيَشْكُرَ الشَّاكِرُ عَلَىٰ النِّعْمَةِ مِنَ السُّكُونِ بِاللَّيْلِ وَالتَّصَرُّفِ بِالنَّهَارِ. وَلِيَكُونَا وَقْتَيْنِ لِلْمُتَذَكِّرِ وَالشَّاكِرِ مَنْ فَاتَهُ فِي أَحَدِهِمَا وِرْدُهُ مِنَ الْعِبَادَةِ أَتَىٰ بِهِ فِي الْآخَرِ»[(٣)].

ومن المجموعات القرآنية التي تصور بديع صنع الله تعالىٰ في خلقه مما له علاقة قوية بهدايات القرآن في تعظيم الله تعالىٰ من غير هذه السورة -علىٰ كثرت ذلك- ما يلي:

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: «انْتِقَالٌ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ عَلَىٰ انْفِرَادِهِ تَعَالَىٰ بِالْإِلَهِيَّةِ بِصِفَاتِ ذَاتِهِ إِلَىٰ الِاسْتِدْلَالِ عَلَىٰ ذَلِكَ بِبَدِيعِ مَصْنُوعَاتِهِ، وَفِي ضِمْنِ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ إِدْمَاجُ الِامْتِنَانِ عَلَىٰ النَّاسِ وَلِلتَّعْرِيضِ بِكُفْرِ الْمُشْرِكِينَ جَلَائِلَ نِعَمِهِ». وقال: «وَمِنْ أَبْدَعَ الِاسْتِدْلَالِ أَنِ اخْتِيرَ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢١٤).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٦٤١).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٢٥).

لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ هَذَا الصُّنْعُ الْعَجِيبُ الْمُتَكَرِّرُ كَلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي يَسْتَوِي فِي إِدْرَاكِهِ كُلُّ مُمَيِّزٍ، وَالَّذِي هُوَ أَجْلَىٰ مَظَاهِرِ التَّغَيُّرِ فِي هَذَا الْعَالَمِ فَهُوَ دَلِيلُ الْحُدُوثِ وَهُوَ مِمَّا يَدْخُلُ فِي التَّكَيُّفِ بِهِ جَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ فِي هَذَا الْعَالَمِ»[(١)].

قال القنوجي: «﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم﴾؟ أي هل لكم من إله بزعمكم من الآلهة التي تعبدونها يقدر علىٰ أن يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم، ﴿بِضِيَآءٍ﴾ أي: بنور تطلبون فيه المعيشة، وتبصرون فيه ما تحتاجون إليه وتصلح ثماركم، وتنمو عنده زرائعكم، وتعيش فيه دوابكم؟ والجملة صفة أخرىٰ لـ ﴿إِلَٰهٌ﴾ عليها يدور التبكيت والإلزام، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؟ هذا الكلام سماع فهم، وقبول، وتدبر وتفكر، وهذا توبيخ لهم علىٰ أبلغ وجه، ثم لما فرغ الله من الامتنان عليهم بوجود النهار؛ امتن عليهم بوجود الليل»[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[لقمان].

قال ابن كثير: «يُبَيِّنُ سبحانه بهذا قدرته العظيمة علىٰ خلق السَّمٰوات والأرض، وما فيهما وما بينهما، فقال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أي: لَيْسَ لَهَا عُمُدٌ مَرْئِيَّةٌ وَلَا غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ».

قال: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الله تعالىٰ من خلق السَّمٰوات وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا صَادِرٌ عَنْ فِعْلِ اللهِ وَخَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذلك، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أَيْ مِمَّا تَعْبُدُونَ وَتَدْعُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ»[(٣)].

وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ النَّبيِّ الأمين، وآله وصحبه أجمعين،،

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٦٨).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ١٤٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٢٩٧).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة المختصرة تبين لنا أن أصول الهدايات القرآنية التي نص الله تعالىٰ عليها في سورة الفرقان مما له تعلق بتعظيم الله تعالىٰ يتمثل فيما يلي:

- أنه سبحانه وتعالىٰ وصف نفسه بأعلىٰ أوصاف الكمال، ونعتها بأعظم نعوت الجلال.
- نسبة الملك الحق لله تعالىٰ من أعظم الصفات التي تليق بكمال الله تعالىٰ وجلاله.
- كونه سبحانه وتعالىٰ لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم تكن له صاحبة.
- كونه سبحانه وتعالىٰ مختص بعلم دقائق الأمور كلها، ولا تخفىٰ عليه خافية.
- التركيز علىٰ وصف خلق الله تعالىٰ بما يدل علىٰ عظمته سبحانه.

وهذه الأصول الخمس وغيرها كثير موجودة في سور القرآن الكريم وآياته علىٰ نطاق واسع جدًا، كما أن استخراج هذه الهدايات والنص عليها في كتب التفسير كثير في كلام المفسرين رحمهم الله تعالىٰ، بحيث يجد القارئ في تفاسيرهم التصريح بما يدل علىٰ تعظيم الله تعالىٰ بأقوىٰ أنواع التعبير وأجود أساليب التمجيد للباري عزَّ وجلَّ.

التوصيات:

يعتبر موضوع أصول الهدايات القرآنية في تعظيم الله تعالىٰ من الموضوعات البكر التي تحتاج إلىٰ جمع واستقراء وإحصاء من سور القرآن كله مع الترتيب والتبويب، وهو مشروع علمي كبير يحتاج إلىٰ جهد المؤسسات المعنية بالقرآن الكريم والباحثين الحادبين علىٰ تنفيذ مثل هذه المشروعات العلمية.

لذلك يوصي الباحث بالاهتمام بهذا المشروع العلمي الكبير، وسوف يكون للباحث عظيم الشرف بالمشاركة في أي فريق بحثي يعنىٰ به.

كما أنه يتفرع عن هذا المشروع العلمي موضوعات أخرىٰ في أصول الهدايات القرآنية في مجالات أخرىٰ نظيرة ومشابهة لموضوع تعظيم الله تعالىٰ في الهدايات القرآنية.

فهرس المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ (المتوفىٰ: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفىٰ: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (المتوفىٰ: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفىٰ: ٧٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفىٰ: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان الحسيني القِنَّوجي (المتوفىٰ: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا/ بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ م.

- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الثالثة، (د ت).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، تح: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ت).
- الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، طه عابدين طه وآخرون، جامعة أم القرى، كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم، مكتبة المتنبئ، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

الموضوعات

المقدمة	٢
الأصل الأول: وصف الله تعالىٰ بأوصاف الكمال ونعوت الجلال	٥
الأصل الثاني: نسبة الملك الحقّ لله تعالىٰ وحده	٩
الأصل الثّالث: نفي الولد والشّريك مع الله	١٤
الأصل الرّابع: التذكير بأنّ الله تعالىٰ مختصّ بعلم دقائق الأمور	٢١
الأصل الخامس: التركيز علىٰ وصف خلق الله تعالىٰ بما يدلّ علىٰ عظمته سبحانه	٢٥
الخاتمة	٢٩
المصادر والمراجع	٣٠
الموضوعات	٣١